من ثغر الشهيد

يا ثار الله

٢١

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

من ثغر الشهيد

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم من الاولين والاخرين إلى قيام يوم الدين وبعد.

إن المهمة الأساسية للأنبياء والرسل هي الإصلاح للمجتمعات الإنسانية، إذ كان جوهر دعوة الأنبياء على مر الأزمان بالإضافة إلى عبادة الله سبحانه تحدّي الفساد ومحاربة النظام الاجتماعي القائم على أساس تعدد الربوبية والظلم وسحق الإنسان لأخيه، فإن بعض من واجههم الأنبياء عليهم السلام لم ينكروا وجود الله جل وعلا بل كان كفرهم وجحودهم متجسداً بترك التطبيق للشرائع السماوية من خلال التسلط السياسي والمالي على الناس، فكانوا يتصرفون في الناس تصرف المانع المعطي المميت المحيي، فيعطون من يشاؤوا ويمنعون من يشاؤوا ويقتلون أو يعفون حسب أهواهم وآرائهم.

وعلى هذا فإن مهمة الأنبياء هي تربية الأمم الحاضرة أثناء وجودهم معهم وتهيئتهم لاستقبال الحوادث القادمة بعد انتقالهم إلى ربهم من دار الدنيا إلى دار المستقر، وقد كان نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله قد هيأ أذهان الأمة إلى قبول الأمر الإلهي بإمامة الأئمة من بعده فنص وكرر في مناسبات عدة وفي ظروف مختلفة وأمام المجتمع الإسلامي وفي بعضها أخذ البيعة منهم وأوصاهم بالتمسك بالثقلين قائلا: «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر

مـن الآخر كتـاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيـف تخلفوني فيهما فإنهما لـن يتفرقـا حتى يردا علي الحوض - السـنن الكبرى للنسـائي ج٥ ص٤٥» ولما كان الحسـين عليه السلام مـن العـترة الـتي لاتفترق عـن الكتاب بنـص هـذا الحديث من النبوي، فالحسـين هدفـه هدف القرآن بل هدفهما واحد وهـو هداية الناس لما فيـه صلاحهـم ورؤيته بمقارعة ا لجور والاسـتبداد والوقـوف بوجهه، ومن هذا المنطلق نجد أن الإمام الحسين عليه السلام كان يحمل أعباء الأمة وهمومها.

ومـع كل ذلـك اختلف المؤلفون والكتـاب والباحثون في اسـباب ودوافع النهضة الحسـينية المباركـة فوقعـوا في افـراط أو تفريـط، وفي هـذا البحـث المتواضـع نسـتعرض كلمـات قائـد النهضة وهو يحدثنا عـن نهضته الشـريفة مبيناً لنا أسبابها ودوافعها لنعرفها من ثغره الشريف مباشرة.

آملين منه أن يتقبل منا هذا القليل ويدرجنا في قائمة خَدَمته.

وصف الإمام الحسين عليه السلام لعصر معاوية

بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام وعدم التزام معاوية ببنود الصلح التي أبرمها مع أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام أخذت مجريات الأمور تسير نحو الابتعاد عن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله لتحقيق الرسالة السماوية كبسط العدل وإصلاح الأمة ومحاربة كل صور الظلم والفساد المتفشية في المجتمع حتى وصلت الأمة في زمان معاوية إلى قمة الظلم والطغيان، فقد روى صالح بن كيسان قال: لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقى الحسين بن علي عليهما السلام فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم ؟ قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم[1]، فأخذ الإمام الحسين عليه السلام يدافع عن رجالات الأمة الأخيار وهو ما نجده واضحا من خلال حادثتين يرويها لنا التأريخ، الأولى منها رواها سليم بن قيس الهلالي وهي حول إبلاغ الإمام الحسين لأصحاب النبي المعروفين بالصلاح والنسك أيام الحج وإخباره لهم بأفعال معاوية بأهل البيت وشيعتهم ونقضه كل العهود والمواثيق التي أقرها للإمام الحسن عليه السلام ورغبته عليه السلام بنقل تلك الفضائع إلى امصارهم ورجالاتهم المخلصين، عسى أن يكون تبليغهم هذا دلالة واضحة أخرى على انحرافه واستبداده هو وأعوانه فتوقد في المسلمين جذوة الثورة والرفض لانتهاكات هذا الحاكم، قال سليم بن قيس: أنه لما كان قبل موت معاوية بسنة، حج الحسين بن علي عليهما السلام وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر معه، فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم، ومن الأنصار ممن يعرفهم الحسين عليه السلام وأهل بيته ثم أرسل رسلا قائلا لهم: لا تدعوا أحدا ممن حج العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلا واجمعوهم لي، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال عليه السلام: أما بعد فإن هذا الطاغية قد فعل

(١) رياض المسائل ج٢ ص٢٦٦

بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أسألكم عن شيء، فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني، وأسألكم بحق الله عليكم وحق رسول الله ﷺ وقرابتي من نبيكم لما سيرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي ودعوتم أجمعين في أنصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس [1].

ثم أخذ الإمام بذكر مناقب أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن عليهم السلام التي ذُكرت في القرآن أو التي قالها النبي الأكرم من أجل استنهاض همم المسلمين باتجاه أهل البيت الذين يمثلون الخط الإلهي.

وأما الحادثة الثانية فكانت سنة ٥٦ هجرية عندما بدأ معاوية بتحركات واسعة ليستميل وجوه الناس بالأُعطيات ويتشدد على الممتنعين، كل ذلك من أجل تأسيس ملوكية بني أمية لتنتقل فيهم جيلا بعد جيل فإن أبا سفيان قد قالها قبله: تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا من نار، إنما هي الدنيا نتكالب عليها [2]، فما زال بالناس حتى أخذ البيعة من بعض رجال أهل الشام وأهل الكوفة مثل المغيرة بن شعبة وابنيه موسى وعروة وأربعين رجلا أرسلهم المغيرة إلى معاوية ۞ والضحاك بن قيس الفهري وعمرو بن سعيد الأشدق ويزيد بن المقفع العذري، بعدها كتب معاوية إلى مروان بن الحكم: إني قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون عليك، فقام مروان في الناس فأخبرهم به»

فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو، فكتب مروان

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص٣٢٠

(٢) الأحتجاج ج١ ص٣٤٩، بين يدي الرسول الأعظم ج١ ص٩٥،

۞ حين بايع هؤلاء قال معاوية لعروة بن المغيرة بن شعبة سراً بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم قال بأربعمائة دينار قال معاوية لقد وجد دينهم رخيصا»

إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب بذكر يزيد، فقام مروان فيهم وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله! يا مروان! وكذب معاوية، ما الخير أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: «والذي قال لوالديه أف لكما». فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان، يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن: إنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله! ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله، وقام الحسين بن علي عليه السلام فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير. فكتب مروان بذلك إلى معاوية [1].

ولما عزل معاوية مروان لمخالفته استخلاف يزيد واستخلف على المدينة سعيد بن العاص كتب إليه يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ويكتب إليه بمن سارع ممن لم يسارع، فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأظهر الغلظة، وأخذهم بالعزم والشدة، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك، فأبطأ الناس عنها إلا اليسير، لا سيما بنو هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد، وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكارا لذلك وردا له، فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية: أما بعد، فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء، لا سيما أهل البيت من بني هاشم، فإنه لم يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك، والسلام.

فكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس، وإلى عبد الله بن الزبير، وإلى عبد الله بن جعفر، والحسين بن علي عليه السلام كتباً، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم

---

(١) - الكامل في التأريخ ٢: ٥٠٩

ويبعث بجواباتها،[1] وإليك نص ما كتب معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله، ولا تردن هذه الأمة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد صلى الله عليه وآله، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون[2].

رد الإمام الحسين عليه السلام على كتاب معاوية

كتب إليه الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حربا ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم.. ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة جرأة على الله، واستخفافا بعهده.. أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال.. أو لست المدعي زياد في الاسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله: أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب

---

(١) الغدير ١٠: ٢٣٩.

(٢) الغدير ١٠: ٢٤٠، وقد روي بغير هذه الألفاظ في بعض المصادر مثل كتاب رجال الكشي ١: ٢٥٢

إليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم، وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة، وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، وإني والله! ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية! فيما بدا لك، فلعمري لقديما يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك، واتق الله يا معاوية ! واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّا يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأضعت الرعية، والسلام[1].

من رسالة الإمام عليه السلام هذه إلى معاوية يمكننا التوصل إلى صورة المجتمع آنذاك:

١. انزعاج معاوية من مواقف الإمام الحسين عليه السلام وبالأخص في قضية البيعة ليزيد.

٢. إن الوقوف ضد البيعة ليزيد من الفعل الحسن «الحسنات» التي يهدي إليها الله ويسدد عباده لها.

٣. هنالك جواسيس لمعاوية يبعثون الأخبار إليه وهم الذين وصفهم الإمام عليه السلام بـ«الملاقون المشاؤون بالنميمة».

٤. إن الإمام لم يبتغ الحرب، وإن كان الحكم الأموي ينبغي أن يُجاهد ويُحارَب، ولكن الإمام عليه السلام لم يجد الناصر لذلك.

٥. وصف الإمام عليه السلام أصحاب معاوية وأتباعه بأنهم:

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨٠

أ. قاسطون ب. ملحدون ج. حزب الظلمة د. أولياء الشيطان.

٦. أظهر أفعاله «أفعال معاوية» المحرمة مثل:

أ. قتل حِجْر بن عَدِي الكندي وأصحابه المؤمنين، الذي كان سنة ٥١هـ، أو ٥٣هـ[١]، من دون أي ذنب سوى أنهم قد والوا أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ب. نقضه الأيْمان المغلّظة.

ج. قتل عمرو بن الحمق الخزاعي-الذي أظهر الله على يديه كرامات – في سنة ٥١ هـ، وقطع رأسه وحملَ على رمح وهو أول رأس يحمل في الإسلام[٢].

د. ادعاؤه زياد أخاً له بخلاف نص النبي صلى الله عليه وآله تعمّداً وجرأةً على الله ورسوله.

هـ. قبوله لأفعال زياد، وعدم ردعهِ إياه يدل على أمره بهذه الأفعال.

و. إصدار أوامر لزياد بقتل كل موالٍ لعلي عليه السلام.

٧. اتهام الإمام عليه السلام بشق عصا المسلمين.

٨. ولاية معاوية أعظم فتنة للمسلمين.

٩. كيد معاوية للإمام عليه السلام وإن المواجهة مستمرة بين حزب الله وحزب الشيطان لايخلو منها زمان.

١٠. إن معاوية كان جاهلاً حسب وصف الإمام عليه السلام.

١١. قتل كل من أظهر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

١٢. إسلوب المحاكمات على الظنّة والتهمة.

١٣. محاولات معاوية لأخذ البيعة ليزيد المشهور بمساوئ الأخلاق «سنقف عليها في موضع آخر من هذا البحث إنشاء الله».

١٤. خلافة المسلمين ليست عند أهلها.

---

(١) معجم رجال الحديث ج٥/ ص ٧١٢.

(٢) معرفة الرجال/ الطوسي: ج١: ص٢٥٠.

ابتداء المواجهة الحتمية

قال تعالى﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [1] وقال جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[2]

إن النقطة الأساسية في وجود الصراع بين الحق والباطل، تتمثل في تَميُّز وانكشاف صفوف المؤمنين الحقيقيين العاملين من أجل عقيدتهم عن الجالسين المتخاذلين في الساعات الحرجة، وذلك أنه لو كان المؤمنون منكمشون على أنفسهم وذواتهم وأن الله هو الذي يبطل أعمال المنحرفين والظالمين ويدمرهم بالطرق الإعجازية.. فإن الأمة ستصبح خاوية ضعيفة فاقدة للقيم، لكنه جلّ وعلا لم يشأ ذلك لأنه عز جده أراد أن يكون أفراد هذه الأمة ومن قبلها من الأمم السابقة أحراراً ليكون هناك مجال لاختبارهم وتكاملهم وترقيهم.

ومن هاتين الآيتين الشريفتين التي تقدم ذكرهما في بداية الكلام نستشف بأن هنالك فئة من الناس الذين قد طبع الله على قلوبهم بسبب إصرارهم على الذنوب والموبقات والإفراط في التعصب لكل ما عهدوه من أسلافهم بدون أي مراجعة للعقل، حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[3] وإن صراعهم مع الأنبياء ليس بلحاظ وضعهم الشخصي بل بلحاظ وضعهم الرسالي.

إن النبي كان يعلم أن هؤلاء مستمرون بمواجهة الخط الإلهي وإنهم مستمرون في برنامجهم الذي يقتضي مواجهة الخط الإلهي المتمثل بأهل البيت عليهم السلام

(١) الفرقان - الآية - ٣١.
(٢) الأنعام - الآية – ١١٢.
(٣) الزخرف آية ٢٣.

وإن لبسوا ثوب الإسلام وإن أذّنت مآذنهم فللحيلولة دون وصولهم إلى سدة الحكم وقيادة الأمة أخبر النبي ﷺ المسلمين بالحذر منهم ومن أقوالهم فلقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «في امتي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم»[1]، فبيّن النبي ﷺ للمسلمين أجمعين حتى يأخذوا حذرهم من المنحرفين الضالين المضلين، وأضاف ﷺ مع هذه التحذيرات والبيانات مَن هي الفرقة الهادية المهدية ومن هم رجالها ومن هو قائدها حين نصب علياً بأمر ربه في يوم الغدير، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أن أعداء علي هم أهل الشقاق والنفاق والحادون،هم العادون،وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا»[2]، وبهذا نعلم أن أعداء أمير المؤمنين عليه السلام هم أعداء الله من خلال دعاء النبي ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» [3] وهم أغلبهم انتهى أمرهم في زمانه عليه السلام إلا معاوية فلقد بقي حاكماً لدولة كان أهم أسسها مواجهة أهل البيت عليهم السلام أصحاب الخط الرسالي والثاني تنكيلها بأتباع أهل البيت عليهم السلام مما دفع الإمام الحسين عليه السلام لمواجهة معاوية كما بيّنا في السابق.

ولما هلك معاوية وأراد يزيد أخذ البيعة من الإمام عليه السلام بواسطة والي المدينة الوليد بن عتبة واجهه الإمام عليه السلام بقوله أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة -إلى أخرالحديث الذي سنسوقه، فإنه عليه السلام أظهر للوالي ولكل الأجيال أن خط الإمام عليه السلام الذي هو خط الأنبياء عليهم السلام لا يجتمع، بل سيتقاطع دائماً مع خط الانحراف والفسوق والفجور، ففي رجب سنة ستين من الهجرة كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة وكان أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة على أهلها عامة وعلى الحسين عليه السلام خاصة ويقول له: إن أبى عليك

(١) صحيح مسلم ج٨ ص١٢٣.
(٢) الاحتجاج ج١ ص٧٩.
(٣) سنن النسائي ج٥ ص٤٥.

فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه، فاحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الحسين عليه السلام فقال: إنه لا يقبل ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أك شيئا مذكورا، ثم بعث إلى الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه فنعى الوليد إليه موت معاوية وعرض عليه البيعة ليزيد، فقال: أيها الأمير إن البيعة لا تكون سراً ولكن إذا دعوت الناس غدا فادعنا معهم، فقال مروان: لا تقبل أيها الأمير عذره ومتى لم يبايع فاضرب عنقه، فغضب الحسين عليه السلام ثم قال: ويل لك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت والله ولؤمت، ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة والبيعة. ثم خرج عليه السلام فقال مروان للوليد عصيتني ! فقال: ويحك إنك أشرت إليّ بذهاب ديني ودنياي والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وإنني قتلت حسينا والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين عليه السلام إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم [1].

قال: وأصبح الحسين عليه السلام فخرج من منزله يستمع الأخبار فلقيه مروان فقال له: يا أبا عبد الله إنى لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟ قل حتى أسمع ! فقال مروان: إنى آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك. فقال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الاسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول صلى الله عليه وآله يقول الخلافة محرمة على آل أبي سفيان [2]، ومثلي لايبايع مثله.

قالها مولانا الحسين عليه السلام كيف يبايع الحسينُ عليه السلام رجلُ المبادئ القائمُ بإمر الله الخليفةُ الشرعي الوصيُ ابن الوصي أبو الأوصياء الذين فتح الله بهم الهداية

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ابن طاووس ص١٧.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ابن طاووس ص ١٨.

والاستقامة و بهم يختم، فهو ابن سيد الإوصياء أبو خاتم الأوصياء المهدي المنتظر عليه السلام، يزيد الفاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة وفسقه ليس أمراً مستوراً بل ظاهر كالشمس في رابعة النهار، فكان لايداري مجونه وإنما كان يعلنه ويجاهر به على أنه سنته وسُنة آبائه وأسلافه كما سنرى من خلال شعره الذي سارت به الركبان:

عُليّة هاتي واعلني وترنمي ... بذلك إني لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سما بها ... إلى أُحدٍ حتى أقام البواكيا
ألا هاتِ سَقّيني على ذاك قهوة ... تخيّرها العنسيُ كرماً شآميا
إذا ما نظرنا في أُمورٍ قديمةٍ ... وجدنا حلالاً شربها متواليا
وان متُ يا أمَ الأحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإن الذي حدثت عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بد لي من أن أزور محمداً ... بمشمولة صفراء تروى عظاميا [1]

ففي هذه الأبيات التي أنشدها نجده يخاطب عشيقته عليّة أن تعلن عن أفعال أبي سفيان بالإسلام والمسلمين وبالأخص في معركة أُحد بقتل حمزة عليه السلام أسد الله ورسوله ولا تهمس بالحديث بينها وبينه ويطالبها بسقيه الخمر الذي أحل آباؤه وأجداده وأسلافه شربه، ويصرح بكل وقاحة وجرأة على الله ورسوله تمادياً بغيّهِ أن لا بعث ولا نشور ولا جزاء وأنه سيقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وبيده كأس الخمر ودنانه، فكيف يبايع الحسين رجلا يطلق لسانه عالياً لجلسائه

(١) تذكرة خواص الأمة ص١٦٤

معشر الندمان قوموا واسمعوا صوت الاغاني
واشربوا كأس مدام واتركوا ذكر المثاني
شغلتني نغمةُ العيدان عن صوتِ الأذان
وتَعَوّضت من الحور عجوزاً في الدنان [1]

واستهتاره بالشريعة ليس يخفى على أحد بعد قوله:

ولو لم يمس الأرض فاضل بردها لما كان عندي مسحة للتيمُّم

إذ أن الواجب الشرعي المقدس يحتم عليه عليه السلام الوقوف ضد هذا الانحراف الواضح لمسيرة التكامل التي رسمها القرآن لهذه الأمة لو قادها رجل مثل يزيد، فلا يقف الإمام عليه السلام مكتوف الأيدي بعد حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الخلافة محرمة على آل أبي سفيان [2]

ولهذا اقتضت المواجهة الحتمية.

(١) أعيان الشيعة ج١ ص٦١٨.
(٢) مثير الأحزان ابن نما الحلي ص٧.

أهداف الثورة

لقد كان الإمام عليه السلام الوارث للنهضة الإصلاحية التي أقامها النبي صلى الله عليه وآله على الجاهلية الرعناء والوثنية المقيتة لانتشال المستضعفين من الجور والظلم، فقد كان دوره القيادي يحتم عليه أن يسير على خطى النبي صلى الله عليه وآله التي بدأها قبل ثلاث وسبعين سنة حيث كان عليه أن يتحمل أعباء هذه النهضة ويكون المانع من الانحراف الذي ظهر عندالأمويين، لأن مقومات النهضة أُجهضت والقرآن ذُبح بحراب الأمويين وأتباعهم، والفكر السليم الذي جاء به كتاب الله أصبح بيد الأمويين وتابع لتوجيهاتهم، والحقوق من الصدقات والخراج أضحت دُولة بينهم، كل هذا من جانب ومن جانب آخر كانت الأمة الإسلامية في سبات عميق بسبب الوضاعين الذين اختلقوا أحاديث تحافظ على كيان دولتهم فقد رووا عن رسول الله أنه قال في حديث طويل: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قيل له: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» [1].

من هنا أصر الإمام على عدم الخضوع ليزيد ولولم يكن له ملجأ ولامأوى، وفي هذه اللحظات الحرجة أصدر القائد بيان لأهداف الثورة بإيجاز اللفظ وسعة المعنى وعظمه على شكل وصية دفعها إلى أخيه محمد بن الحنفية «أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم

(١) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ٦ - ص ٢٠

بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب [1].

نجد أنه عليه السلام أراد أن يكمم أفواه المتشدقين القاعدين عن نصرة الله ورسوله وابن رسوله الإمام عليه السلام، فابتدأ عليه السلام وصيته بما يأتي:

أولاً- بإثبات الإلوهية والربوبية لله وحده فلا مناص لأي أحد إلا أن يكون عبداً لله، ولايكون مثل فرعون، الذي قال عنه القرآن: «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى»[2] فيحتكر المقدرات ويستضعف المسلمين يُذبّح أبناءهم وهو فعل المفسدين.

ثانياً-إن محمداً عبد الله ورسوله جاء بالدين الحق من الحق، فيجب على الناس الاتباع والانصياع للأوامر الإلهية وطمس كل معتقدات الجاهلية الكافرة.

ثالثاً-إن الحساب آتٍ بلا أي شك، وإننا مبعوثون من قبورنا فيُجزى كل امرء بما كسب بمحض إرادته واختياره فأما أن يوفى الجنة إن عمل إحساناً أو يستعر في النار إن أساء.

رابعاً-نفى عن نفسه طلب الفخر وعظم الشأن «لم أخرج أشراً»ولا متكبراً ولا يريد أن يتعظم بالرئاسة «ولا بطرا».

خامساً-إزالة البدع والانحرافات في الأمة الإسلامية «ولامفسداً».

سادساً-إقامة العدالة الاجتماعية وتطبيق الشريعة، انطلاقاً من قوله تعالى:

---

(١) البحار ج٤٤ ص٣٢٩.
(٢) النازعات - الآية – ٢٤.

«وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [1] «ولا ظالماً».

سابعاً- إصلاح ما أفسد من الشريعة وهو المطلب الأسنى عنده وقد أشار اليه بـ«إنما خرجت لطلب الإصلاح».

ثامناً- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تاسعاً-إحياء السنة التي أميتت بقوله: «أسير بسيرة جدي وأبي» وهذا هو إيجاز لأهداف ثورة التغيير الحسينية.

إن التجاهر بالفسق الذي كان شيمة المتسمي بخليفة الرسول ﷺ صار يشكل خطراً عظيماً على الإسلام والمسلمين فكان لابد له عليه السلام كأي مسلم غيور على دينه أن يقوم ضد الطاغية وإن كان يعلم أن ذلك يؤدي إلى قتله، شأنه شأن جميع الأنبياء والمرسلين الذين قاوموا الظلم والطغيان والكفر وا لجحود حتى استُشهدوا عليهم السلام، فلا بد للإمام بطلب الإصلاح في المسلمين، ولا يكون الإصلاح إلا من خلال طريقين أولهما القول وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثاني العمل والسير بسيرة أشرف المرسلين محمد وسيد الوصيين علي صلوات الله عليهم، وفي آخر وصيته كان الإمام عليه السلام يطلب أنصاراً رساليين هدفهم الحق والصلاح وإن لم يجد في تلك اللحظات إلا القليل منهم قائلاً: «وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي»[2].

(١) المائدة - الآية - ٤٥.
(٢) البحار ج٤٤ ص٣٢٩.

في مكة

نظرية الحكم

أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى كلماته مواصفات الحاكم الإسلامي التي ينبغي أن يتصف بها حيث قال: «وقد علَمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج و الدّماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، و لا الجاهل فيضلّهم بجهله، و لا الجافي فيقطعهم بجفائه، و لا الخائف للدّول فيتّخذ قوماً دون قوم، و لا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطّل للسّنّة فَيُهلك الأمّة» [1] وقال الإمام الحسين عليه السلام في جواب رسائل أهل الكوفة التي وصلت اليه: «فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله[2]، وفي رواية أخرى «فلعمري ! ليس الإمام العامل بالكتاب والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإياكم على الهدى وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [3]، هذه صورة من أوصاف خليفة المسلمين عند الأئمة عليهم السلام، لكن من هؤلاء الذين يمكن ان تكون هذه المفاهيم منطبقة وثابتة فيهم سؤال أجاب عنه النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قائلاً: «إن هذا الأمر لا يزال ظاهراً لا يضره من خالفه حتى يقوم اثنا عشر أميراً كلهم من قريش [4]، وشرحه وأبان مصداقه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم » [5].

---

(١) في ظلال نهج البلاغة ج٢ ص٢٦٨.
(٢) تأريخ الطبري ٣: ٢٧٨
(٣) مقتل الحسين « عليه السلام » للخوارزمي ١: ١٩٥
(٤) المعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٢١٦.
(٥) نهج البلاغة تعليق محمد عبدة ج٢ص٢٧.

فلا يمكن أن يمضي على المسلمين وقت من دون إمام يسير بهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإذا كانت إمامة المسلمين أمراً لا ينفك صلاح المسلمين عنه فلا بد أن يتولاها من كان فيه هذه الصفات المذكورة سابقاً وستمر علينا نظرية الحكم عند الأمويين وهي معاكسة لنظرية أهل البيت عليهم السلام.

خطبته حين خروجه من مكة

اعلان الثورة

قال أبو الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في خطبته في مكة حين عزم على التوجه نحو الاستشهاد:

«الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله صلى الله على رسوله وسلم خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخُيِّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي يَتَقطَّعُها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جُوفا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن يشذ عن رسول الله ﷺ لحمته وهى مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه ويتنجز لهم وعده، مَن كان فينا باذلاً مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»[1].

إن الوَلَه هو أسمى وأعلى مراتب الحب والعشق، إنه الذروة التي تستقطب وتستنهض كل وعي الإنسان وإمكاناته نحو مركزها، ونجد هذه الظاهرة

(١) كشف الغمة ج٢ ص٢٣٩.

الروحية في جميع النصوص التي تُحدّثنا عن الحالة الكيانية للشهداء في ذروة اندفاعهم نحو الشهادة. إنّنا نلمس من خلال النصوص التي تحاول أن تصور هذه الظاهرة الروحية العالية، وهي بالتأكيد عاجزة عن تقديمها إلينا بشكل كامل، نلمس أن هؤلاء الشهداء كانوا يستشعرون ذروة السعادة في الاندفاع نحو الشهادة. ومن هنا فثمة بون شاسع، وفرق نوعي أساسي بين الموت وبين الشهادة.إن الموت نهاية طبيعية لكل مخلوق حي، حيث قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» [1]، ولكن الشهادة ليست نهاية لكل حياة.

الموت تقدير إلهي ثابت حتمي، والشهادة نعمة نادرة ليست مجانية كسائر النعم الإلهية. وإنما هي نعمة يجب أن تتوفر عدة شروط لأجل تحقيقها، وهي القضية العادلة المستقبلية، و هي الاتحاد والفناء في القضية، وبيع النفس لله من خلال هذه القضية. ولأن الشهادة نعمة غير مجانية فإن الله تعالى هو الذي يختار الشهداء وليست الصدفة هي التي تصنع الشهداء، يقول اللهِ عزوجل في كتابه العزيز: «وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين »[2]، فلا ينالها الظالمون، فالشهادة اختيار من الله ومن هنا قلنا أنها نعمة غير مجانية. ويؤكد هذا المعنى ما حفلت به السنة الشريفة، قال رسول الله ﷺ: «فوق كل ذي برّ برّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر[3]، وبالأخص ما يتعلق منها بالحقل التربوي والتوجيهي من التعبير عن الشهادة بأنها رزق ومما يدل على ذلك اشتمال كثير من نصوص الأدعية التربوية الشريفة تتضمن التوجه إلى الله بالدعاء طلباً لرزق الشهادة يقول الإمام الصادق عليه السلام في دعائه: «أن تجعل في هذه الليلة اسمي في السعداء وروحي مع الشهداء» [4]، ويقول النبي ﷺ: «أشرف

(١) العنكبوت - الآية - ٥٧.
(٢) آل عمران - الآية - ١٤٠.
(٣) الفصول المهمة ج٣، ص ٣٧٧.
(٤) أقبال الأعمال ص٢٠٠

الموت موت الشهداء»[1]. وتتناسب حيوية كل أمة وروح الانبعاث في كل مجتمع طرداً وعكساً مع انتشار روح الشهادة، وتصوراتها بين أفراد تلك الأمة والمجتمع ومع كثرة الشهداء الأحياء وندرتهم في تلك الأمة والجماعة، فكلما كثر في الأمة ونما عدد هؤلاء الشهداء الأحياء كلما كانت الأمة أقدر على النهوض وأقرب إلى تحقيق أهدافها من خلال تحقيق قضيتها، وكلما قل وندر في الأمة عدد هؤلاء الشهداء الأحياء كانت الأمة أعجز عن النهوض، وأقرب إلى أن تكون منالاً سهلاً لأعدائها المتربصين بها.

لقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام في هذه الخطبة أنه غير مبالٍ بالذين يجبنون عن مجابهة الباطل ويخذلون أهل الحق والصدق لأن من كان معه القوي وجيشه لا يحتاج إلى هؤلاء الضعاف يقول عليه السلام في دعاء يوم عرفه «كَيْفَ تَكِلُني وَقَدْ تَكَفَّلْتَ لِي وَكَيْفَ أُضامُ وَأَنْتَ النَّاصِرُ لِي، أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي؟»ويقول أيضا: «أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمالِي وَهِي قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ لا تُحْسِنُ أَحْوالِي وَبِكَ قامَتْ ؟»[2]، ثم أخبر الجميع – شريف الناس ودنيئهم – الحقيقة التي سيواجهها هو وركبه المخلصون الثابتون مِن تصرفات أتباع الشيطان وحزبه الغاوين وما سيفعلونه به وبهم من قتل وتمزيق لأجسادهم الشريفة المطهرة، وأظهر حقائق هؤلاء المستورة تحت أجسادهم بأن أولئك ليسوا من البشر وإنما هم ذئاب بل هم أشدُ قساوة وخسة منها.

ويشتمل هذا الإعلان المبارك على مضامين كثيرة لا نستطيع معها إلا الاعتراف بالعجز والقصور عن الإحاطة بها، وقد يكون بيانها مُخرجاً عن المقصود كالذي وضع له هذا البحث.

(١) الدعوات ص١١٩.
(٢) دعاء الإمام الحسين يوم عرفة/ مفاتيح الجنان.

وظيفة المسلم تجاه الحاكم الجائر

أراد الحسين عليه السلام بنهضته وتضحيته أن يكسر حاجز الخوف وأن يبدد حالات اليأس والخنوع والخضوع التي أصابت الأمة نتيجة البطش والتعسف والإضلال الذي مارسته السلطة الأموية معها، وأراد أن يؤسس لفهم إسلامي أصيل هو شرعية المواجهة للسلطان الجائر، وشرعية السعي لتقويض سلطانه ذلك لأن النظام الأموي عمل وفي غضون سنوات مديدة على الترويج لدعوى حرمة الخروج على النظام الحاكم حتى ولو كان فاسداً جائراً ظالما، وسخر لذلك المأجورين ممن ينسبون إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليضعوا من عند أنفسهم روايات –وقد مر بنا سابقا- تؤكد على عدم شرعية الخروج والثورة على السلطان وإن كان فاسقًا مستحلاً لحرمات الله عز وجل، وأن وظيفة المسلم هي النصيحة والدعاء له بالهداية، فإن ثاب إلى رشده فنعم، وإلا فعلى كل مكلف الصبر، وإن جلد السلطان ظهره وأخذ ماله. وهذه الثقافة الخطيرة التي سادت وتجذرت بفعل السياسة الأموية لم يكن من الممكن تصحيحها لو لم يتصد لذلك رجل هو بحجم الحسين عليه السلام ولم يكن التصدي بنحو التضحية، فوقف معلنا عن زيف هذه العقيدة وكذبها أمام طلائع الجيش الأموي في مكان يسمى البيضة، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: أيها الناس ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق مَن غَيّر. قد أتتني كتبكم، وقَدِمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمّمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ إسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن

عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم «فمن نكث فإنما ينكث على نفسه» وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [1].

وبمقارنة سريعة بين ما بثه الأمويون حول وجوب إطاعة الحاكم الجائر وبين ما نقله سيد الشهداء عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الإعلان نجد أن النقلين على طرفي نقيض، وإذا أردنا أن نرجح أحد الطرفين على الآخر فلا يسع أي مسلم أن يقدم رواية الأمويين على رواية الحسين عليه السلام بعدما قاله جده رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أهل بيته عليهم السلام.

إن سيد الشهداء عليه السلام يشير أنه في مقامه الديني والاجتماعي أولى الناس باتباع سنة جده صلى الله عليه وآله بالتغيير فلذلك أعلنها صريحة «وأنا أحق مَن غيّر» فله الصدارة والأولوية في عملية التغيير والإصلاح، ولهذا دعى الإمامُ عليه السلام الحرَ بن يزيد الرياحي وكتيبته إلى نصرته والسير معه في طريق الحق وحذره من مغبة نقض العهد والميثاق، فإن أغلب أهل الكوفة قد بايعوا الإمام عليه السلام من خلال سفيره مسلم بن عقيل حتى روي أنه قد بايعه ثمانية عشر ألف رجل[2]-أو أربعين الف رجل[3]-، ولم يؤرخ لنا التأريخ قائداً كالحسين عليه السلام يعبئ ويهيئ أصحابه للموت فقد قام بذي حسم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإني لا أرى الموت إلا [سعادة] ولا الحياة مع الظالمين إلا برما»[4]، وأصحابه في

(١) تأريخ الطبري ٣: ٣٠٦.
(٢) البحار ج٢٧ ص٢١٢.
(٣) العوالم ص١٨٦ ولواعج الأشجان ص٣٨.
(٤) تاريخ الطبري ج٤ ص٣٠٥.

غاية الاستعداد له، فيقوم الأسد تلو الأسد، فيجيبونه بكلمات تعبر عن صحة معتقدهم به وبنهضته، فهذا زهير بن القين يقول له: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها، وبقوة الإيمان والعزيمة نهض هلال بن نافع البجلي فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك، وبروح التفاني والصبر على ما سيكون تكلم برير بن خضير فقال: والله يا ابن رسول الله لقد مَنّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، فيقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة، لذا كانت خاتمة الحياة الدنيا برأي السبط الشهيد عليه السلام الشهادة، فالشهادة جميلة عند أعاظم الرجال كجمال القلادة على جيد الفتاة، فإن كانت زينة المرأة القلادة على جيدها فزينة الرجل الاستشهاد في سبيل الحق والفضيلة، في سبيل الله ولوجه الله وهذا هو حال الأولياء الأصفياء في تمنياتهم ليصلوا للقاء المحبوب والمعشوق الحقيقي وهذه أمنية لايعدلها أمنية، فلا خير في حياة يسود فيها الظلم والطغيان ولا خير في حياة يتجرع الإنسان فيها كأس الذل والهوان.

إلقاء الحجة (الخطبة الاولى يوم عاشوراء)

أكد الكتاب الحكيم أن هدف الأنبياء واحد ولا انفصال في خط النبوة، مثل قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1]، فجميع الأنبياء والمرسلين ينهلونَ من منبع الوحي الإلهي وإنهم خط واحد يكمل كل نبي الشوط الذي قطعه من كان قبله في قيادة البشرية، وكان دور أوصياء الأنبياء نفس هذا الدور إلا أنهم لم يكونوا يشافهون الوحي، فكانت

(١) .الشورى - الآية - ١٣.

دعوة الأنبياء تلاقي صدىً في نفوس الذين يذعنون للحق ويقبلون ما يتفق ويتطابق مع العقل والفطرة، بينما تواجه الرفض والصد من أهل الأهواء المنحرفين لأنها كانت تهدد مصالحهم الآنية المؤقتة التافهة، فكانوا عليهم السلام يعتمدون التوجيه بالإعذار والإنذار تبعاً لأمر المولى جل وعلا، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١)، وهذا ما فعله سيد الأحرار عليه السلام في يوم عاشوراء، حين خطب خطبته التوجيهية للأمة كأي رسالي لا يريد لقومه الانحراف وإنما يطلب لهم الهداية والرشاد، فحذر وأنذر من السخط الإلهي لكل عاص متهتك لايراعي حرمة لله ورسوله، فوعظ وأبان حال هذه الدنيا وأنها زائلة متغيرة فلا يمكن لعاقل أن يركن إليها ويتمسك بها وأن حبلها قصير وزوالها سريع، وأن الشقاوة والسعادة في نوعٍ المعاملة معها فإن مَن ترك السعي وراءها كان سعيداً ومن أطاعها كان شقياً، فنصحهم وبالغ في النصيحة وبذل كل مجهوده في دعائهم بعدم الإنضواء تحت لواء الشيطان بقتال أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وشيعتهم فإنه سخطٌ للرب تعالى، وحذرهم من ازدواجية المعايير بإعلانهم الإيمان بالله ورسوله ثم قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله الذين أوجب الله مودتهم وطاعتهم في كتابه العزيز، ولكنه مع الأسف الشديد لم يجد في المعسكر الأموي أُذن واعية، لأن ساحة الوجود الإنساني لا تقبل بذر الهداية والرشاد ما لم يتم تطهيرها من العناد والتعصب، مَثلها كمثل الأرض السبخة لا تثمر وإن حرثتها وسقيتها وبذرتها، وهكذا واجهت دعوة الإمام عليه السلام للجيش الأموي، فلم تثمر أي ثمر، بل كانوا يقولون كما قال من كان قبلهم ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

يروي المجلسي في بحاره: وتقدم الحسين عليه السلام حتى وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة فقال: الحمدلله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالا

(١) الأنعام - الآية - ٥١.
(٢) - البقرة - الآية - ٨٨.

بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم ! أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد ﷺ ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين فقال عمر [ابن سعد]: ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر، فكلموه فتقدم شمر لعنه الله فقال: يا حسين ما هذا الذي تقول؟ أفْهِمنا حتى نفهم، فقال: أقول: اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني، فإنه لا يحل لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم ولعله قد بلغكم قول نبيكم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل ا لجنة [1]

الخطبة الثانية يوم عاشوراء

فقد الإمام عليه السلام الأمل بانتشال هؤلاء المتجرئين الضالين من مهاوي الضلال والغي، وفي تلك اللحظات تقدم ا لجيش الأموي وأحاط بالسبط عليه السلام وعصبته المؤمنة كالسوار على المعصم، فخرج بقية النبوة عليه السلام يحاول منع الكارثة التي ستحيط بهم مثلما حاول مؤمن آل فرعون على ما ذكره القرآن الكريم «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ»[2]، لكنهم صموا وعموا بسبب أكل الحرام، فإذا كان فضول الطعام له تأثير سيء على الإنسان فما بالك بالأكل الحرام، يقول النبي ﷺ: «إِيَّاكُم وَفُضُولَ المَطْعَمِ فَإِنَّهُ يَسِمُ القَلْبَ

(١) البحار ج٤٥ ص٥-٦.
(٢) غافر - الآية - ٣٨.

بِالقَسوَةِ وَيُبْطِيء بِا لجَوارحِ عَنِ الطّاعَةِ وَيَصُمُّ الهِمَمَ عَنْ سِماعِ المَوعِظَةِ» [1]، يروي الخوارزمي في مقتله، عن عبد الله بن الحسن، قال: لما عبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين بن علي عليه السلام ورتبهم في مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعبأ الحسين أصحابه في الميمنة والميسرة، فأحاطوا بالحسين عليه السلام من كل جانب، حتى جعلوه في مثل الحلقة، خرج الحسين عليه السلام من أصحابه حتى أتى الناس فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا، فقال لهم: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاصٍ لأمري غير مستمع لقولي، قد انخزلت عطياتكم من الحرام وملئت بطونكم من الحرام، فطبع الله على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟ فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم، وقالوا: أنصتوا له[2].

مَن هو الجيش الأموي

وبعد أن سكت رجال يزيد وأعوانه أبانَ الإمام عليه السلام حالهم المأساوية في ظل نظام أبي سفيان وما لاقوه من سلب للحقوق والمقدرات وسقيهم كأس الذل*، وسوقهم لهم سوق العبيد، وطلبهم من الإمام عليه السلام إنقاذهم واستجابته عليه السلام لهم ثم انقلابهم إلى ما كانوا عليه من قبول الرضوخ إلى الظالم وسيرهم بركبه ومحاربة أولياء الله، وكيف أن هذا الفعل تصريحاً لدخولهم في حزب الشيطان، فكانت أفعالهم كمَن حارب الأنبياء والمرسلين من السابقين من الأمم التي

(١) عدة الداعي-ص٢٩٤.
(٢) . مقتل الخوارزمي ج٢ ص ٤.

❖ –هامش وقد تجلى إخبار النبي صلى الله عليه وآله فيهم حين قال «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولا و مال الله دولا وكتاب الله دغلا –مسند أحمد ج٣ ص٨ أبتداء حكم آل العاص في زمن عثمان وقد عزلهم الإمام علي في خلافته وأعادهم معاوية .

حاربت خط الرسالات الإلهية فحصر الإمام عليه السلام أوصافهم في خطبته التي نقلها الخوارزمي قال: فقال الحسين عليه السلام: تباً لكم أيتها الجماعة! وترحاً، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرخناكم مؤدين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا، وحششتم علينا نار الفتن التي جناها عدوكم وعدونا فأصبحتم إلَباً على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيل لنا. فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا وتركتمونا، تجهزتموها والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبا، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العِهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين. وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تخذلون، أجل والله! الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، ونبتت عليه قلوبكم وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله هم، ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين القتلة والذلة، وهيهات منا أخذ الدنية، أبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، لا تؤثر طاعة اللِّئام على مصارع الكرام، ألا إني قد أعْذرت وأنذرت، ألا إني زاحف بهذه الأسرة على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب. ثم أنشد يقول:

فإن نهزم فهزّامون قدماً ... وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طَبَّنَا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

أما إنه لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دَورَ الرحى،

عهد عهده إلي أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً فلا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، فلا يدع فيهم أحدا، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي ولأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا، عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير [1].

آخر العطاء

وفي آخر لحظات عمره الشريف يُنور الوجود بدعاء واجب الوجود الحنان المنان:

«اللهم ! متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيٌّ عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجا، وأرغب إليك فقيرا، وأفزع إليك خائفا، وأبكي إليك مكروبا، وأستعين بك ضعيفا، وأتوكل عليك كافيا، احكم بيننا وبين قومنا، فإنهم غرونا وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد بن عبد الله، الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على وحيك فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً برحمتك يا أرحم الراحمين. [2]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٥، وفي تاريخ ابن عساكر «ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٢١٦، بحار الأنوار ٤٥: ٨، العوالم ١٧: ٢٥١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) المزار ص ٣٩٩ مصباح المتهجد ٨٢٧ بحار الانوار ج ٩٨ ص ٣٤٧ صحيفة الحسين ص ٩٨ الخصائص الحسينية للتستري ص«باختلاف يسير»

المصادر

القرآن الكريم

١. السنن الكبرى/ للنسائي.

٢. رياض المسائل.

٣. كتاب سليم بن قيس الهلالي.

٤. الاحتجاج.

٥. بين يدي الرسول الاعظم.

٦. الكامل في التاريخ.

٧. الغدير.

٨. رجال الكشي.

٩. الإمامة والسياسة.

١٠. معجم رجال الحديث/ السيد الخوئي.

١١. معرفة الرجال/ الطوسي.

١٢. اللهوف في قتلى الطفوف.

١٣. تذكرة خواص الأمة.

١٤. اعيان الشيعة.

١٥. مثير الاحزان/ ابن فهد الحلي.

١٦. صحيح مسلم.

١٧. البحار.

١٨. في ظلال نهج البلاغة.

١٩. المعجم الكبير.

٢٠. نهج البلاغة/ تعليق محمد عبدة.

٢١. كشف الغمة.

٢٢. أقبال الاعمال.

٢٣. الدعوات.

٢٤تاريخ الطبري.

٢٥. عدة الداعي.

٢٦. مسند احمد.

٢٧. مقتل الخوارزمي.

٢٨. تاريخ ابن عساكر.

٢٩. المزار.

٣٠. مصباح المتهجد.

٣١. صحيفة الحسين.

٣٢. الخصائص الحسينية.

الفهرس

المقدمة..... ٣

وصف الإمام الحسين عليه السلام لعصر معاوية..... ٥

رد الإمام الحسين عليه السلام على كتاب معاوية..... ٨

ابتداء المواجهة الحتمية..... ١١

أهداف الثورة..... ١٦

في مكة «نظرية الحكم»..... ١٩

خطبته حين خروجه من مكة «إعلان الثورة»..... ٢٠

وظيفة المسلم تجاه الحاكم الجائر..... ٢٣

إلقاء الحجة «الخطبة الأولى يوم عاشوراء»..... ٢٥

الخطبة الثانية يوم عاشوراء..... ٢٧

من هو الجيش الأموي..... ٢٨

آخر العطاء..... ٣٠

المصادر..... ٣١

إنّي لا أرى الموتَ إلّا سَعَادَةً
وَالحيَاةَ مَعَ الظّالِمِينَ إلّا بَرَمًا

الإمام الحُسين عليه السلام

يجب على كل مصلح أن ينتهج سلوك الإمام عليه السلام في التغيير إذا ما أراد أن يعيش المجتمع حياة كريمة خالية من الظلم والاستبداد.

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

راسلونا fikriya@aljawadain.org
زورونا www.aljawadain.org